الصحافة العربية الجزائرية في مجابهة مخططات التنصير خلال النصف الأوّل من القرن 20

Algerian Arab Press in Response to Preaching Evangelization during the First Half of the Century 20

د/ تاونزة محفوظ

قسم التاريخ –جامعة خميس مليانة –

taouanzamahfoud@yahoo.fr

الملخص: نسعى من خلال الدراسة المنجزة إلى تسليط الضوء على دور هذه الصحف في الكشف عن مخططات التنصير وتوعية الجزائريين بمخاطرها على هويتهم الوطنية. حيث وظفت الصحافة الجزائرية المكتوبة وبخاصة الاصلاحية منها وفعلتها لتوعية الجزائريين بمكائد ومخاطر المنصرين المتربصين بهم خلال الفترة المحددة للدراسة أي النصف الأول من القرن 20 م ، حيث تمثل فترة منتصف العشرينيات البداية الحقيقية لاهتمام الصحافة العربية الجزائرية بحركة التنصير بأرض الجزائر، والعمل على التصدي لها .

الكلمات المفتاحية: الصحفة الجزائرية –الحركة التنصيرية – النصف الأول من ق 20م – الهوية الوطنية

.

Abstract: Through the completed study, we seek to highlight the role of these newspapers in revealing the schemes of preaching and raising Algerians' awareness of their risks to their national identity. The Algerian press, particularly the reformist press, has been recruited to raise Algerians'

awareness of the pretext and dangers of the predecessors attached to them during the period specified for the study, namely, the first half of the 20 century. The mid-1920s represents the real beginning of the interest of the Algerian Arab press in the Movement for the Victory of Algeria.

Keywords: Algerian Press - Missionary Movement - First Half of 20th century - National Identity

مقدمة:

في إطار الدفاع والحفاظ على المقومات الأساسية للشخصية الوطنية، لم تدخر النخبة الجزائرية المصلحة جهدا في التصدي لمخططات التنصير المستهدفة لعقيدة الجزائريين الإسلامية، موظفة في تحقيق ذلك الصحافة المكتوبة ضمن الوسائل التي فعلتها لتوعية الجزائريين بمكائد ومخاطر المنصرين المتربصين بهم خلال الفترة المحددة للدراسة أي النصف الأول من القرن 20 م، وهي الفترة التي شهدت خلالها الجزائر بروز عدة صحف باللغة العربية[1] دافعت وبحماس منقطع النظير عن الهوية العربية و الإسلامية للشخصية الوطنية، على غرار صحيفة الشهاب (1925-1939) لعبد الحميد بن باديس ،وصحافة إبراهيم أبو اليقظان كوادي ميزاب(1926- 1939)، والأمة(1933- 1938) وصحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كالشريعة(1933) والصراط السوي(1933-1934) والبصائر في سلسلتها الأولى(1935-1939) والثانية(1936-1947) ،وحتى صحف الاتجاه الطرقي كالبلاغ(1926-1947) لسان حال الطريقة العليوية، إضافة إلى صحف الاتجاه الوطني الاستقلالي كالمنار (1951-1954) لمحمود بوزوزو.

ولما كانت الصحافة الجزائري العربية معاصرة لأحداث التنصير بالجزائر في هذه الفترة، فهي بدون شك تمثل أهم المصادر الرئيسية المؤرخة له، فمن هنا تكمن الأهمية العلمية لهذا الموضوع، الذي نسعى من خلاله إلى تسليط الضوء على دور هذه الصحف في الكشف عن مخططات التنصير وتوعية الجزائريين بمخاطرها على هويتهم الوطنية.

---

[1] – وهي الصحف التي أشأها وأدارها وموّلها جزائريون، وكانت مختلفة الاتجاهات، تبنت انشغالات ومطالب الجزائريين " الأهالي "

تمثل فترة منتصف العشرينيات البداية الحقيقية لاهتمام الصحافة العربية الجزائرية بحركة التنصير بأرض الجزائر، والعمل على التصدي لها[2]

تعتبر جريدة وادي ميزاب لسان حال الحركة الإصلاحية بميزاب نموذجا رائدا للصحافة الإصلاحية الجزائرية في مقاومتها لنشاط المبشرين المسيحيين وفضح أعمالهم ومكائدهم في الجزائر، لاسيما في المناطق النائية من الجبال والقرى والصحراء حيث يكثر الفقر والجهل[3]، و تجلى ذلك من خلال المقالات العديدة التي نشرها كتابها على صدر صفحاتها، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، مقال بعنوان "

---

[2] – علما بأن المساعي و المحاولات الأولى التي قام بها رجال الدين لتنصير الجزائريين اتضحت معالمها مع بداية الاحتلال-فترة الثلاثينيات- ثم أخذت رقعة النشاط التنصيري في الجزائر تتسع مع مرور الزمن لتبلغ ذروتها خلال منتصف الستينيات التي شهدت مجيء الكاردينال لافيجري للجزائر و ترأسه لأسقفية الجزائر(1866-1892).كما تزامنت مع المجاعة التي عرفتها البلاد،الأمر الذي شجع هذا الأخير على اغتنام هذه الظروف وتنصير الجزائريين.

أما بالنسبة لظهور الصحافة الوطنية فقد كان مع مطلع القرن 20 م، وهذا ما يفسر تأخر اهتمامها بحركة التنصير في الجزائر إضافة إلى خشية الكتاب الجزائريين من متابعة سلطات الاحتلال لهم ولجرائدهم لأن ملاحقة المبشرين من طرفهم يعد في الوقت نفسه ملاحقة لسلطات الاحتلال نفسها، التي مثلت درعا واقيا لنشاط رجال الكنيسة . لكن سرعان ما تغير الموقف مع منتصف العشرينات عندما أخذ الكتاب الجزائريون يخوضون معاركهم القلمية ضد المنصرين غير مبالين بتهديدات الاستعمار، وهذا بعدما ظهرت مخططاتهم المسمومة علانية على حساب الدين الإسلامي ،إضافة إلى دور الصحافة العربية المشرقية التي كانت تنشر بحوثا مستفيضة حول حركة التنصير في العالم العربي والاسلامي وتتبع أخبارها وروادها، الأمر الذي شجع الصحف الجزائرية على الخوض في هذا الموضوع، أنظر: مُحَمَّد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها،تطورها، أعلامها ، المجلد الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص ص 140-141.

وعن تاريخ النشاط التنصيري بالجزائر، استرجع:

- خديجة بقطاش،الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1871)،منشوراتدحلب،الجزائر،1992،ص 197
- سعيدي مزيان،النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر(1867-1892)،ط01،دار الشروق للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر،2008،ص550

[3] – للاستزادة في الموضوع ، راجع : سعيدي مزيان، المرجع نفسه

دسائس المبشرين في بلاد الإسلام" نشرته في 1927 لكاتب جزائري باسم مستعار (الفرقد) [4] الذي فضح فيه الوسائل المتعددة التي يستخدمها المنصرون للتأثير على الجزائريين وتنصيرهم كتقديمهم الخدمات الاجتماعية والتعليمية والعطف على الفقراء والمساكين، كما أشار لذلك بقوله:« ... إذا قصدوا بلدا يبدأون بالتقرب إلى أعيانها، ورؤسائها وموظفيها ويصاحبونهم ثم يعششون في البلد، ويفتحون محلات شبه كنائس موهمين الناس، بأنها سكناهم، ومحلات عبادتهم، ومأوى الفقراء والمساكين والضعفاء أيضا ولكنهم يتخذون تلك الخلوات شركا يجلبون الناس إليها.

يبدأون بجلب الفقراء والمساكين الذين أعياهم الدهر وبلاهم، فسئموا أنفسهم فصاروا يترامون على أول قادم جاء يؤازرهم في بؤسهم وشقائهم، يأخذونهم إليهم ويظهرون لهم عطف الوالد لولده وحنان الأم إلى رضيعها... يعلمونهم مبادئ العلوم ثم يمزجون لهم تلك المبادئ، بتعاليمهم الدينية فيسقونهم بذلك عسلا مسموما...». [5]

وفي مقال آخر لنفس الكاتب تحت عنوان: " مسألة التبشير والمبشرين" نشرته الجريدة في سنة 1928، فضح من خلاله أعمال المنصرين وإغراءاتهم وأساليبهم في مخاطبة الجزائريين، للتأثير عليهم ومن ثمة تنصيرهم،بقوله: «.... إن المبشرين برعوا بالتبشير بكيفية تحير دونها عقول الشياطين فهم أذكى من

---

[4] – وهو الشيخ سليمان بن يحي بوجناح(الفرقد) (1905-1988)،أعتبره الأستاذ مُحَّد ناصر" أول الكتاب الجزائريين عناية بموضوع التنصير ،وأحرؤهم على تحمل تبعات الهجوم على المنصرين، فقد حمل القلم ضدهم حارا يدفعه حماس الشباب الثائر و هو لا يزال طالبا ثانويا يعد العدة لدخول امتحان البكالوريا في إحدى ثانويات العاصمة فكان أن استدعاه مدير المدرسة و هدده بالفصل و عدم النجاح في الامتحان إن هو تمادى في حملاته ضد التبشير الميحي". من أثاره: =/= ""كتاب الفرقد"،وهي عبارة عن مجموعة مقالات اجتماعية وسياسية.أنظر:- مُحَّد ناصر، الصحف العربية الجزائرية.... مرجع سابق، ص 430.وأيضا: الكاتب نفسه، المقالة الصحفية الجزائرية..... مرجع سابق،ص144

[5] – الفرقد(سليمان بوجناح)، " دسائس المبشرين في بلاد الإسلام" ، وادي ميزاب، العدد 57 ، الجمعة 23 جمادى الاولى 1346هـ /1927/11/17، ص02

الأبالسة في الإغراء فهم يخاطبون العقول كل حسب دائرته، يخاطبون العامة بالدارجة... والطبقة المتعلمة بالأسلوب العالي يغوصون به في بحور فلسفة الأديان...» [6]

وفي سياق ملاحقة تحركات المنصرين وفضح أنشطتهم التنصيرية المتخفية وراء تقديم الخدمات الاجتماعية المجانية للجزائريين، عالجت وادي ميزاب هذا الموقف من خلال مقال بعنوان" فضول المبشرين بوادي ميزاب" نشرته عام1929 حذرت فيه الجزائريين من مغبة الوقوع في فخ المنصرين المتسترين وراء الأنشطة الاجتماعية،فهم لا يقتصرون على طرقهم المعروفة كالتعليم والمواساة والتطبيب بل يلجأون إلى طرق وأساليب أخرى لتنصير الجزائريين، حيث كتبت قائلة: «... فهم للحرص على استغفال العقول واستيلاء النفوس، لا يقتصرون على وسائل التطبيب ومواساة الفقراء ... بل يتخذون وسائل أخرى ناجعة لتعميم دعايتهم من عرض كتبهم وأساطيرهم ... يتلمسون فيها أماكن الضعف ومواضع الغفلة، لينفذوا منها إلى غيرها، يتقمصون للتوصل إلى ذلك أقمصة البرودة والبذل والخضوع عملا بالقاعدة " الغايات تبرر الوسائل...». [7]

ونجد الموقف نفسه عند الصحفي إبراهيم أبو اليقظان[8] الذي لم يدخر جهدا في ملاحقته لنشاطات المنصرين المسيحيين وفضح مخططاتهم الهدامة، عن طريق صحفه ومقالاته المنشورة خاصة في صحيفتي

---

[6] – الفرقد،"مسألة التبشير والمبشرين(**02**) "، وادي ميزاب، العدد 87، 15 الجمعة 26 ذي الحجة 1346هـ 1928/06/15، ص01

[7] – أنظر: " فضول المبشرين بوادي ميزاب"، وادي ميزاب ، العدد119، الجمعة 30 شعبان 1347هـ 1929/02/01، ص01.

[8] –إبراهيم بن الحاج عيسى أبواليقظان(1888-1973) ولد بالقرارة،حفظ القرآن الكريم و درس على يد الشيخ إبراهيم اطفيش،وفي سنة 1913 التحق بجامع الزيتونة بتونس كما درس بالخلدونية.وفي سنة 1925 عاد إلى الجزائر و ساهم في نشر الوعي بمسقط رأسه،حيث شارك في تأسيس معهد الحياة و مدرسة الحياة سنة 1926 ،ثم اصدر ثماني جرائد و هي:وادي ميزاب(1926-1929)،ميزاب(1930)،المغرب(1930)،النور(1931-1933)،البستان(1933)،النبراس(1933)،الامة(1933-1938)،الفرقان(1938)،تعرضت جميعها للتعطيل من طرف الاستعمار.له العديد من المؤلفات،أبرزها:" ديوان إبراهيم أبي اليقظان في جزأين"،و"سلم الاستقامة في الفقه"، و" تاريخ صحف أبي اليقظان"،و " سليمان باشا الباروني" ،أنظر:محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، مطبعة هومة،الجزائر،2000،ص ص87-88

وادي ميزاب والأ م ..ة.[9] منها المقال الصادر بتاريخ 1928/05/25 بجريدة وادي ميزاب تحت عنوان " مؤامرات المبشرين ضد شمس الإسلام" حاول من خلاله تعميق الوعي لدى الجزائريين بدسائس ومكائد المنصرين المستهدفة للإسلام[10].وأبدى احتجاجه ضدهم لدى الحكومة الفرنسية وحملها مسؤولية سكوتها عن أعمال هؤلاء المنافية لما وعدت به المسلمين من احترام عقائدهم متسائلا عن سبب إطلاقها العنان لهؤلاء:«... فإننا نحتج ضد وجود تلك الجماعات التبشيرية بالبلاد لاسيما في وادي ميزاب ميزاب ونرجوا منها بكل إلحاح إلغاءها وحلها...». [11]

واستطاع أن يكشف عن التواطؤ السافر بين الاستعمار والمنصرين من خلال المقال الذي نشره بجريدته الأ م . ..ة ضمن العد 161 الصادر بتاريخ 1938 /04/05 ،تحت عنوان" ماذا يريد المبشرون بالمسلمين" فضح فيه دعم سلطات الاحتلال لجماعات المنصرين وتشجيعها على نشر أفكارهم الهدامة في أوساط الجزائري و كتب في هذا الإطار قائلا:«... وهم يجدون في الحكومة الفرنسية كل مناصرة ومؤازرة، ويلاقون منها وسائل التشجيع والتنشيط وهم على باطل، ما لم يلاق المسلمون ولو جزءا ضئيلا وهم على حق. وبكل سهولة تفهم لماذا توجه بعثات التنصير نشاطها في الغالب إلى أراضي الجنوب ولاسيما الأغواط، غرداية، القليعة وورقلة حيث يخيم الضعف والمرض»[12]

ولم يخف الكاتب انتقاده للمسلمين على تخاذلهم إزاء مجهودات المبشرين المسيحيين في العالم الإسلامي برمته[13] ، فكتب في جريدته وادي ميزاب، قائلا:«... ما هي مجهودات المسلمين إزاء هذه السيول

---

(9) –مُحَمَّد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص ص 73-76.

(10) – وادي ميزاب، العدد 84، الجمعة 04 ذي الحجة 1346هـ ،1928/05/25، ص03.

(11) –وادي ميزاب، العدد 76، الجمعة 08 شوال 1346هـ، 1928/03/30، ص02.

(12) – نقلا عن :الحاج موسى، القضايا الوطنية والعربية الإسلامية من منظور أعلام ميزاب1902-1962، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث ولمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008/2007، ص174.

(13) –كما أشارت الجريدة إلى مؤتمر التبشير العالمي المنعقد بالقدس عام 1927 ، الذي نوقشت فيه قضايا خطيرة منها التنصير في العالم الإسلامي، و تطرقت الجريدة كذلك إلى مقررات المؤتمر التبشيري العام المنعقد في سنة 1924،كاشفة من خلالها الغطاء عن نوايا المبشرين المبيتة للإسلام و المسلمين ، للمزيد راجع:- "مؤامرات المبشرين ضد شمس الإسلام"،وادي ميزاب،العدد 84، الجمعة 04 ذي الحجة 1346هـ/1928/05/25،ص 02، و أيضا:- زبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج06، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر 1985، ص ص 51-52

الجارفة ؟ فهل يليق بهم النوم العميق والتخاذل المشين على السفاسف والخرافات وجامعتهم مشتتة وأشلاءهم مبعثرة وإسلامهم تهدده الأخطار من كل جانب وتلك الطوائف تعمل عملها والدول تشجعها والقوة تحميها وجهل المسلمين وفقرهم وضعفهم تساعدها فإلى متى هذا الموت؟...».[14]

ثم خاطب الميزابيون محاولا تنبيههم لمجهودات المنصرين –الأباب البيضPERES BLANCS-[15] المكللة بالنجاح في غرداية، لعلهم يستنهضوا من غفلتهم ويتصدون لهم، كما أشار لذلك بقوله:«... إذا نام الميزابيون فإن أولئك المبشرين بالعكس من ذلك فقد اجتهدوا في فتح المدارس والمعامل للشبان المسلمين، فقد أنشأوا في غرداية عاصمة ميزاب خمس مدارس في حين أنه لم يفتح المسلمون لحد الآن لأولادهم ولو مدرسة واحدة، وهل هذه الجهود منهم حبا في المسلمين وفي ترقية مداركهم ترقية صحيحة ؟ إن الأعمال بنتائجها فلننتظر من الآن طلائع هذه النتائج السود ولنفسر بها تلك المجهودات ...فحصنا سيرة أكبر تلاميذهم وماهي أخلاقه فوجدناه عقوقا لوالديه وسخرية بدينه وقوميته...».[16]

وأضاف قائلا:«... إن الإسلام وإن كان له رب يحميه وقوة خفية تقيه صدمات أعدائه لكن ذلك أمر خارج عن دائرة تكليفنا فلا دخل لنا فيه وإنما كلفناالله بالكد والسعي والعمل والذود عن حمى الإسلام ودفع الأذى عن المسلمين بكل ما أوتينا من قوة...».[17]

---

(14) – أبو اليقظان، "حركة التبشير في العالم الإسلامي"، وادي ميزاب، العدد80، الجمعة 07 ذو القعدة1346 هـ/ 1928/04/27، ص02.

(15) – وهي فرقة دينية تنصيرية أسسها الكاردينال لافيجري في فيفري1869 لتأخذ على عاتقها مهمة التنصير في الجزائر.كان لباس هؤلاء موازيا للباس العربي الإسلامي الجزائري، بهدف الاحتكاك بالمسلمين و إبعاد شبح النفور منهم.كما أنشأ في سبتمبر من نفس السنة(1869) فرقة الأخوات البيض SOEURES BLANCHES للقيام بمهمة التنصير في الوسط النسائي عن طريق التطبيب و التعليم و الخدمات الخيرية.وبفضل هذه الفرق تمكن لافيجري من تركيز نفوذه و إنشاء عدة مراكز تبشيرية في الجزائر خاصة في منطقة القبائل الكبرى و الصحراء.للاستزادة أنظر:سعيدي مزيان،السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل و مواقف السكان منها(1871-1914)، ج02،ط01،دار سنجاق الدين للكتاب،الجزائر،2010،ص ص192-212

(16) – أبو اليقظان، "حركة التبشير في العالم الإسلامي"، مقال سابق، ص02

(17) –نفس المقال السابق.

وأن الحل الذي يراه أبو اليقظان مناسبا لحماية الإسلام من جيوش المنصرين المستهدفة له في هذه الفترة ،يكمن في وجوب تحقيق الوحدة والتضامن بين كافة المسلمين ليقفوا صفوفا متراصة أمام هاتيك الجيوش الجرارة، و هذا ما أكده الكاتب في صحافته. [18]

وبدورها جريدة الـ بـ ..لاغ – لسان حال الطريقة العليوية بمستغانم-عالجت موضوع التبشير المسيحي في العالم الإسلامي عامة والجزائر خاصة في بداية الثلاثينات،وذلك في العديد من المقالات تمحورت أساسا حول الدعوة إلى استنهاض الجزائريين لمقاومة التنصير المسيحي بكل الوسائل، وتحذيرهم من التخاذل والتقصير في واجبهم إزاء الدين الإسلامي[19] في الدفاع عنه ومناصرته. [20]

واهتمت صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي الأخرى بالتبشير المسيحي في الجزائر، وأبرزت وأبرزت خطورته على الهوية الإسلامية للشخصية الوطنية، على غرار صحيفة الصراط التي كتب فيهامُحَمَّد مُحَمَّد السعيد الزاهري[21] ضمن العدد السادس الصادر بتاريخ 1933/10/23 ،محاولا إبراز خطر الزواج

---

[18] – أنظر على سبيل المثال: " إنما المؤمنون إخوة"، وادي ميزاب، العدد116، الجمعة 19 رجب 1347هـ/1929/01/11، ص1، وأيضا: نفس الكاتب، " ماذا يريد المبشرون بالمسلمين ؟"، الأمة، العدد 161، 1938/05/05، ص01.

[19] – نذكر على سبيل المثال- لا الحصر- المقالات التي نشرتها الجريدة (البلاغ)حول هذا الموضوع:
- " في سبيل التبشير بالإسلام"، العدد167، السنة: 04 الجمعة 09 محرم1349هـ/1930/06/06، ص03.
- " من أعمال المبشرين في عدن" العدد 168، السنة:04 الجمعة 16محرم 1349 هـ/ 1930/06/13 ص02.
- "جمعيات التبشير ومدارسه في بلاد العرب"، العدد 169، السنة:04 الجمعة 13 محرم1349 هـ/ 20/ 1930/06، ص01.
- " مكائد التبشير، إعلان وتحذير ولوم وترغيب"، العدد171، السنة:04 الجمعة 07 صفر1349 هـ/ 1930/07/04، ص02.
- " جد المبشرين وتقاعس المسلمين"، العدد172، السنة:0414 صفر 1349هـ جويلية 1930،ص02.
- " أخطار التبشير على العالم الإسلامي وبإفريقيا الشمالية"، العدد190، السنة:04، الجمعة 07 رجب 1349هـ/ 1930/11/28، ص01.
- " وسائط المبشرين بين غير المسلمين"، نفس العدد، ص2
- "لماذا لا يوجد مبشرون بالإسلام"، العدد333، السنة:09، الجمعة 1 محرم 1354 هـ/ 05 أفريل 1935، ص3.

[20] – أنظر: مُحَمَّد ناصر، المقالة الصحفية...م1، مرجع سابق، ص ص147-148.

[21] – (1899-1956) يعد من رواد الصحافة الوطنية خلال فترة الاحتلال،ولد بـ:ليانة قرب بسكرة،حفظ القرآن بكتابها،ثم درس على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس بمدينة قسنطينة،ثم اتم دراسته بجامع الزيتونة بتونس،وعند رجوعه منه سنة 1925 استقر بمدينة الجزائر و أخذ ينشط في الميدان الصحفي و أصدر جريدة الجزائر سنة1925،وبعد تعطيلها أصدر جريدة البرق1927 التي تعرضت هي الأخرى للتعطيل.وعندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان من جملة أعضائها و تعاون مع الطيب العقبي في تأسيس جرائدها الأولى كالسنة،والشريعة ،والصراط. كما

الزواج بالأجنبيات " وما ينشأ عنه من احتكاك وألفة تسلب البيت الإسلامي جوه الروحي وتبدل الكثير من المثل العليا فيه كالدين واللغة العربية". [22]

وأشار في هذا الصدد إلى زواج الشيخ أحمد التيجاني[23] بفتاة فرنسية جميلة تدعى (أوريلي بيكار) تعرف عليها بإحدى فنادق مدينة بوردو الفرنسية ،ولما عاد إلى الجزائر تزوجها بمباركة الكاردينال لا فيجري[24] الذي رأى في هذا الزواج خدمة للتبشير المسيحي بالجزائر خاصة وأن عقد النكاح تم على الطريقة الفرنسية في الكنيسة وكان ذلك في سنة 1870، وأصبحت هذه المرأة سيدة الطريقة التيجانية

تعاون مع الأمين العمودي في إصدار و تحرير جريدة الجحيم سنة1933 بقسنطينة لمقاومة جريدة المعيار التابعة للطرقيين. وفي سنة 1938 أسس جريدته الثالثة و هي الوفاق،ثم جريدة المغرب العربي(1947-1949)،(1956). مع اندلاع ثورة أول نوفمبر تورط في مواقف مؤيدة للمصاليين لذلك حكمت عليه جبهة التحرير الوطني بالإعدام وتم ذلك في ماي 1956.أنظر:مُحَّد علي الكمي وأخرون،مرجع سابق، ص34

[22] – أحمد بلعجال، الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مُحَّد السعيد الزاهري، رسالة ماجستير (غير منشورة) في تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، 2006(2006)، ص79.

[23] – يعتبر من أحفاد أبو العباس احمد التيجاني صاحب الطريقة المنسوبة إليه،والمتوفي بمدينة فاس.واجهت الطريقة التيجانية مقاومة عنيفة من قبل التيار الإصلاحي بالجزائر وتعرضت لحملة انتقاد شديدة لمبادئها و نصوصها.

[24] –شارل انطوان مارسيل لافيجري،ولد في1825/10/13 بمدينة وير(HUIRE) قرب بايون على سفوح جبال البريني،عين مطرانا على أسقفية الجزائر في جانفي1867،ثم ارتقى إلى منصب كاردينال بمرسوم بابوي وذلك ابتداء من سنة 1882،في عهده بلغ النشاط التنصيري أوجه وحتى في افريقيا،لذلك لقب بأبي التنصير.توفي في سنة1892بالجزائر،للاستزادة في الموضوع،راجع:سعيدي مزيان،النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري(1867-1892)،مرجع سابق،ص ص31-65

مستغلة إياها في خدمة الكنيسة والتنصير[25] وبقيت على كاثوليكيتها حتى آخر حياتها خادمة للمسيحية.[26]

كما كتب الزاهري مرة أخرى في صحيفة الشريعة يظهر تألمه وشدة حزنه إزاء الاحتفال[27] الذي نظمه رجال الكنيسة والآباء البيض يوم23 ماي 1933 بمناسبة تنصير ألف وسبعمائة من المسلمين، «... كان أكثرهم أطفالا صغارا قد عجز أباؤهم وأولياؤهم أن يقوتهم أو أن يقوموا على ضرورياتهم، فالتقطهم المبشرون المسيحيون واستغلوا جوعهم وضعفهم فاستولوا عليهم واحتلوا منهم العقائد والقلوب... هؤلاء المرتدون لم يتركوا دينهم القيم حبا في النصرانية ولكنهم تنصروا ضعفا و حبا في الخبز...و تركوا الإسلام إلى النصرانية حينما كانوا-كما لايزلوا أكثرهم-ذرية ضعافا ما لهم من أولياء يواسونهم عند الحاجة الشديدة و الضرورة القصوى... »[28]

ولم يتوان الزاهري في تنبيه المسلمين إلى خطر التنصير و هول هذا الحدث،حاثا إياهم على ضرورة التصدي إلى هذا الخطر وتلافيه،كما أشار لذلك بقوله: «...أيها الجزائريون إنها لكبيرة من الكبائر و عظيمة من العظائم أن يتنصر ألف و سبعمائة مسلم من صميم الإسلام في الجزائر في وطن كالجزائر كان أهاليه مسلمون لا يوجد بينهم و لا واحد غير مسلم و نحن بعد ذلك ندعي أشد الناس تمسكا بالإسلام يجب أن نعالج هذا هذا الداعي بالوسائل العادلة المشروعة قبل أن يستفحل ويعظم أمره...أيها المسلمون

---

(25) – من خلال سيطرتنا على الأمور الإسلامية للطريقة التيجانية، وكانت تستلم كل ما يرد من بريد ولا تطلع زوجها منه إلا ما تريد هي أن يطلع عليه، كما كانت تنصب " المقاديم" وتعزلهم متى تشاء وتريد،مراعاة في ذلك مقدار خدمة المقدم و معاونتها للكنيسة،وبقيت هذه المرأة على كاثوليتها حتى أخر حياتها تكتب الرسائل باسم زوجها إلى المقاديم و توصيهم خيرا بأبناء ملتها، فعادة ماكانت تكتب إلى هذا المقدم أو إلى تلك القبيلة تأمرها بالاكتتاب و جمع المال أو نقل الحجارة أو تسخير البغال و الحمير للمساهمة في بناء كنيس لتنصير الجزائريين.أنظر: أحمد بلعجال،مرجع سابق، ص79

(26) – نفس المرجع السابق

(27) –كان الهدف منه هو اغراء المسلمين ودعوتهم للالتحاق بإخوانهم المتنصرين، أنظر: نفسه، ص 81

(28) –الزاهري،"ألف وسبعمائة مسلم يرتدون عن دينهم الحنيف و يعتنقون النصرانية الكاثوليكية"،الشريعة،العدد02،السنة24،1933/07/01،ص07،نقلا عن :عبد المجيد بن عدة، الخطاب النهضوي في الجزائر 1925-1954،أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في تاريخ الحديث و المعاصر(غير منشورة)،قسم التاريخ،جامعة الجزائر،2006/2005،ص248.

الجزائريون كيف نرى أطفالنا و أفلاذ أكبادنا يفتنونهم عن دينهم و يصدونهم عن سبيل‌الله ثم لانتحرك إلى إلى إنقاذهم و لا نذهب أنفسنا عليهم حسرات !!! بمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام و أمان... »[29]

كما حاولت مجلة الشهاب فضح نشاط جماعة المبشرين الأمريكية البروتستانتية[30] في منطقة القبائل من خلال المقال[31] الذي نقلته لقرائها تحت عنوان" جماعة المبشرين الأمريكانية (ميتوديست) ببلاد القبائل " عرفت من خلاله ب:هوية هذه الجماعة المدعومة من أمريكا ونشاطها الديني البروتستاتي الارسالي ببلاد القبائل[32]. ولم تتردد المجلة في تحذير الجزائريين من نشاط جماعة ميتوديست " لأنهم كثيرا ما يتجرؤون أمام الأهالي على القدح والطعن العنيف في الإسلام وعلى صد هؤلاء الأهالي عن أداء واجباتهم الدينية. ومن وسائلهم في ذلك إكراههم على الإفطار في رمضان وإعطاؤهم لهم الخمر والمأكولات المحرمة عليهم دينا"[33] .

وتضيف الشهاب قائلة: «... ومما يزيد نفوذ هؤلاء المبشرين استفحالا وخطرا معرفتهم الدقيقة للغة الوطن الذي هم فيه ولطبائع القبائل وغرائزهم وانسيابهم في عائلات الأهالي وجلبهم محبتهم واستمالتهم لهم بعطاياهم الفاخرة...».[34]

---

[29] – الزاهري،"ألف وسبعمائة مسلم يرتدون عن دينهم الحنيف و يعتنقون النصرانية الكاثوليكية"، مقال سابق،ص07

[30] – المعروفة باسم ميتوديست، وهي جماعة تنصيرية بروتستانتية مدعومة من أمريكا ،نشطت بمنطقة القبائل، وكان اغلب الناشطين ففيها من جنسيات أمريكية وسويسرية وانكليزية، ومركز قيادتها بالجزائر العاصمة ، وكان لها مأوى للأطفال،و مدرسة للبنات ومعهد للأطفال بالعاصمة، للمزيد أنظر: ، روني فانلاند: " جماعة المبشرين الأمريكانية (ميتوديست) ببلاد القبائل 01 " ،الشهاب، ج4،م5، غرة ذي الحجة1347هـ/ ماي 1929، ص14

[31] –ترجمته الشهاب إلى العربية.

[32] – نفس المقال، ص ص14-15.

[33] –روني فانلاند، " جماعة المبشرين الأمريكانية ميتوديست ببلاد القبائل 02" ، الشهاب، ج5، م5، غرة محرم1348هـ/جوان 1929، ص13

[34] –روني فانلاند ،" جماعة المبشرين الأمريكانية ميتوديست ببلاد القبائل03،" الشهاب، ج06، م05، غرة صفر1348هـ/جويلية 1929، ص11.

واستأثر موضوع التنصير كذلك اهتمام جريدة المن ..ار الوطنية "التي أعطت للجانب الروحي من حياة الشعب الجزائري أهمية عظمى وأحلته مكانته التي يجب أن يحتلها الدين الإسلامي باعتباره المدد القوي الذي ظل الشعب الجزائري يستمد منه الطاقة في كفاحه المستمر ضد الاستعمار الصليبي المسيحي"[35]

ففي مقال تحت عنوان " ماذا تر ي ..د الكـ ـنـ ..يسة الفرنـ سـ ..ية ؟" نشره محمود بوزوزو[36] بذات الجريدة في العدد الحادي عشر الصادر بتاريخ 1952/11/14 ،كشف من خلاله عن الارتباط الوثيق بين التنصير و الاستعمار،بحيث كان كل طرف يخدم ويدعم الأخر،مشيرا لذلك بقوله: «...أفسح المجال للتبشير و التنصير بوسائل مباشرة من ذلك بفضل سياسة التفقير و التجهيل،مكن الكنيسة من الطمع في تنصير أطفال المسلمين،والفقراء،محاولة استغلال الفقر و الجهل ،جاعلة " الإحسان" وسيلة لبلوغ أهدافها ومن هنا يتجلى مابين الكنيسة و الحكومة الفرنسية " اللائكية" من صلة وثيـ قـة كلتاهما تخدم الأخرى وتمهد لهل الطريق... »[37]

و حاول نصح كبير القساوسة بالجزائر (مونيسيورلينو) لان يدعو" إلى توعية الفرنسيين المستعمرين بمبادئ المسيحية الحقة من غرس لقيم الحب و العدالة عسى أن يهذب سلوكاتهم و إعمالهم الاستبدادية

---

[35] – مُحَمَّد ناصر،الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، مرجع سابق، ص395

[36] – (1918-2007): ولد ببجاية،نشأ في عائلة متواضعة شغوفة بحب العلم،غادر مسقط رأسه و هو في السن السادسة عشر نحو قسنطيسنة لمزاولة دراسته،ثم انتقل بعد ذلك إلى العاصمة،حيث و واصل دراسته بالمدرسة العليا و نال الشهادة العليا،ثم عمل فيما بعد على فتح مدارس حرة و جلب إليها أساتذة أحرارا و فتح نوادي للشباب ،كما أفواج للكشافة،فجلب له هذا النشاط انتباه الإدارة الاستعمارية التي أوقفته و نفته إلى أفلو بالجنوب الغربي من الجزائر. بعد نهاية الحرب العالمية الثانية التحق بهيئة المصححين و المحررين لجريدة البصائر في سلسلتها الثانية،ثم نم تعيينه_ مرشدا عاما للكشافة الإسلامية،بعد ذلك تفرغ لناشط الكشافة بعد أن أصبح رئيسا لها. ثم قام بإصدار جريدة المنار في 29 مارس 1951نالتي ساهمت في نشر الوعي الوطني و إحياء الشخصية الوطنية بمقوماتها الأساسية،كما عملت على توحيد الصفوف في مواجهة الاستعمار في بداية الخمسينيات.عن نشاطه الإصلاحي و نضاله الوطني،أنظر:مُحَمَّد علي الكمي و أخرون،الموسوعة الصحفية العربية،أعلام الصحافة في الوطن العربي،لمنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم،تونس 1997، ص ص 121-123

[37] –نقلا عن:عبد المجيد بن عدة،الخطاب النهضوي في الجزائر 1925-1954،أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في تاريخ الحديث و المعاصر(غير منشورة)،قسم التاريخ،جامعة الجزائر،2006/2005،ص248

ضد الجزائريين،وأن لايفكر في نشر دعوته المسيحية في الأوساط الجزائرية لان لهم دينا يغنيهم عن سواه"[38]

الخاتمة: استطعنا استخلاص عدة نتائج من هذا المقال،تمثلت في مايلي:

(1)- أبدت الصحافة العربية الجزائرية مواقف جريئة ومشرفة من حركة التنصير بالجزائر لاسيما خلال فترة العشرينيات والثلاثينيات ، من خلال:

* فضحها وتشهيرها بمخططات وأعمال المبشرين (المنصرين) المسيحيين- الأباء البيض- بالجزائر.
* كشفها وتحذيرها من نشاط جماعة الميتوديست البروتستانتية في منطقة القبائل.
* انتقادها لموقف سلطات الاحتلال الفرنسي المتواطئ مع الجماعات التبشيرية التنصيرية على حساب عقيدة الجزائريين الإسلامية.
* دعوتها للتمسك بالدين الإسلامي ومناصرته باعتباره أحد المقومات الأساسية للشخصية الوطنية.

(2)- إن الكشف عن مخططات المبشرين المسيحيين وملاحقة نشاطاتهم والتشهير بهم يندرج ضمن دور النخبة الإصلاحية في الدفاع والحفاظ على المقومات الأساسية للشخصية الوطنية والمتمثلة أساسا في الإسلام والعروبة والوطن، التي ظلت مستهدفة في سياسة فرنسا الاستعمارية الصليبية طيلة الحقبة الكولونيالية.

(3)- إدراك الصحافة العربية الجزائرية للعلاقة الوثيقة بين الاستعمار والتنصير، بحيث كان التعاون بينهما طبيعيا لأجل استعباد الجزائريين واستغلالهم لخدمة أغراضهما الاستعمارية والدينية، وأن الاستعمار مثل المظلة الواقية والحامية لنشاط المنصرين ، ونذكر في هذا الإطار أن تعطيل جريدة وادي ميزاب في سنة 1929 جاء نتيجة للوشاية التي أثارها الأباء البيض ضدها لدى الإدارة الفرنسية انتقاما لأنفسهم من

[38] -المرجع نفسه ، ص 249

انتقاداتها و تهجماتها عليهم ، وان حرمان الكاتب (الفرقد) من دخول امتحان البكالوريا كان انتقاما منه بسبب كتاباته المستهدفة لهم.

(4)- تميزت معالجة الصحف الجزائرية: وادي ميزاب، الأ م ..ة، الشهاب، الصراط، الشريعة، المن ..ار للموضوع- التنصير- بحرارة لهجتها في مخاطبتهما للمنصرين غير مبالية بسلطات الاحتلال،و بلغة صريحة ومباشرة في معالجة الأمور، ومواقف ثابتة من التنصير كاشفة بذلك عن نزعتها الحادة الإصلاحية الوطنية والإسلامية ، عكس الصحف المعتدلة اللهجة كالنجاح القسنطينية التي لم تهتم بالموضوع وإبداء موقفها إزاءه، بالرغم من الإمكانيات المادية والمالية والبشرية التي كانت تحوزها، زيادة على استمرارية صدورها لفترة طويلة أي من 1919 إلى 1956 دون أن تتوقف.

(5)- لم تكن هذه الصحافة تدعو في معالجتها لموضوع حركة التبشير المسيحي بالجزائر إلى إثارة الحقد الديني ضد الطوائف المسيحية، وسب الأديان الأخرى غير الإسلامية، بقدر ما كانت تتصدى لأساليب وأفكار الجماعات التبشيرية المسيحية لتنصير الجزائريين وتجريدهم من عقيدتهم الإسلامية، بل وجدناها في كثير من الأحيان تدعو للتسامح الديني على غرار الشهاب[39].

وعليه يجب الإشادة والتنويه بدور الصحافة العربية الجزائرية في المقاومة الوطنية للتنصير بالجزائر خلال تلك الفترة، ومن ثمة الدفاع عن الإسلام ومناصرته باعتباره أحد المقومات الأساسية للشخصية الوطنية، ولأن الدفاع عن هذه المقومات هو حفاظا على الهوية العربية والإسلامية للشخصية الجزائرية ورفضا للذوبان في ثقافة وشخصية المحتل الفرنسي.

---

(39) – أنظر على سبيل المثال:" التسامح الإسلامي،ونظر المسلمين إلى غير المسلمين و نظر غيرهم إليهم"، الشهاب،ج02،م12،صفر1355هـ/ماي 1936،ص ص 52-54

المصادر و المراجع:

أولا: المصادر:

– الدوريات(الصحف و المجلات):

(01)- الأمة:لأبي اليقظان إبراهيم،عدد 161،(1928/05/05)

(02)-البلاغ :لسان حال الطريقة العليوية بمستغانم، الأعداد التالية:

- عدد167، السنة 04،(1930/06/06)

-عدد168،السنة04،(1930/06/13)

- عدد169،السنة04،(1930/06/20)

-عدد171،السنة04،(1930/07/04)

- عدد172،السنة04،(1930/07/11)

- عدد190،السنة04،'1930/04/28)

-عدد333،السنة04،(1933/04/05)

(03)- الشهاب: لصاحبها عبد الحميد ابن باديس:الاجزاء و المجلدات التالية:

- ج04،م05،(ماي 1929)

- ج05،م05،(جوان1929)

- ج06،م05،(جويلية1929)

-ج02،م12،(ماي 1936)

(04)-الشريعة: لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،عدد02،السنة01،(1933/07/24)

(05)-الصراط: لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،عدد06،السنة01،(1933/10/23)

(06)-المنار: لصاحبها عبد الحميد بوزوزو:عدد11،(1952/11/14)

(07)- وادي ميزاب : لأبي اليقظان إبراهيم : الاعداد التالية:

- عدد 57،(1927/11/17)

- عدد 76،(1928/03/30)

- عدد80، (1928/04/21)

- عدد 84،(1928/05/25)

- عدد87،(1928/06/15)

-عدد 116،(1929/01/11)
- عدد 119،(1929/02/01)

ثانيا: المراجع:

(01)- بلعجال،(أحمد)، الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مُحَمَّد السعيد الزاهري، رسالة ماجستير(غير منشورة) في تاريخ و حضارات البحر الأبيض المتوسط،جامعة منتوري ،قسنطينة2006/2005.

(02)- بن عدة،(عبد المجيد)،الخطاب النهضوي في الجزائر(1925-1954)،رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث و المعاصر،(غير منشورة) ،قسم التاريخ،جامعة الجزائر،2006/2005

(03)-بن عمر،(الحاج موسى)،القضايا الوطنية و العربية الاسلامية من منظور أعلام مزاب(1962/1902)،رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر،قسم التاريخ،جامعة الجزائر،2008/2007

(04)- بقطاش،(خديجة)، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830-1871)،منشورات دحلب،الجزائر،1992

(05)- سيف الاسلام،(الزبير)،تاريخ الصحافة في الجزائر،ج06،ط01،الشركة الوطنية للكتابنالجزائر،1985.

(06)- سعيدي،(مزيان)،النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر(1867-1892)،ط01،دار الشروق للطباعة،الجزائر،2002.

(07)- سعيدي،(مزيان)،السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل و مواقف السكان منها(1871-1914)،ج 01،ط01،دار سنجاق الدين للكتاب، الجزائر،2010

(08)-الكمي،(مُحَمَّد علي) و آخرون،الموسوعة الصحفية العربية،أعلام الصحافة في الوطن العربي،المجلد01،الجزء06،المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم،تونس.

(09)-فضلاء،(مُحَمَّد الحسن) ، من أعلام الإصلاح في الجزائر،دار هومة،الجزائر،2000

(10)- ناصر،(مُحَمَّد)،،أبو اليقظان و جهاد الكلمة،ط02،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1983.

(11)- ناصر،(مُحَمَّد)، الصحف العربية الجزائرية من 1847الى 1954، ط03، دار الغرب الإسلامي، يروت، لبنان، 2007.

(12)- ناصر، (مُحَمَّد)، المقالة الصحفية الجزائرية،نشأتها، تطورها، وأعلامها من 1903 الى1931،المجلد الأول، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1978.